الفي سنة » وكتب في معجم جونسون انهُ « بني في عهد الامبراطور شيهو نفتي وقد عمل فيهِ ملايين من النفلة الذين مات منهم نحو نصف مليون في العشر السنين الأوّل من مدة بنائهِ وأكمل سنة ٢١١ ق م

اما الامبراطور شيهانفتي او سينتوانغ الذي سبق ذكرهُ وجاء في ردّ احد الكتبة على مقالة الاب لارين ما يأتي « ذهب الى الصين سنة ١٨٨٠ وصعدت على سورها العظيم فهو وان كنت لم اقسهُ ولا سرت عليهِ (مع انهُ كان مستطاعًا بسهولة) ممتدّ من طرفي النقطة التي وقفت فيها بخط مستقيم غير منقطع الاّ في الاماكن التي عبث بها الخراب والدمار الى آخر ما يمكن انهُ يصل اليهِ النظر وبينما كنت مجتازًا خليج لياوتونغ رأيت بكل وضوح من على ظهر المركب تلك النقطة التي يمتدّ منها ذلك السور العظيم من ناحية البحر. اما الحصون المربعة التي اشار اليها (لابرين) المعترض فقد شاهدتها في الصين ولكنها ليست في شيء من السور بل بعيدة منهُ ومنفصلة عنهُ »

نقول ومهما يكن من الامر فعلماء الجغرافيا لا يقرُّ قرارهم حتّى يتحقق امر هذا السور لاننا في عصر النقد والتمحيص

الألَم في الحيوان الاعجم

هل يتألّم الحيوان كما يتألّمُ الانسان مسألة يسألها الصغار ويرتاب في حلها الكبار. فاننا كل يوم وكل ساعة ندوس الحشرات من النمل والدود وما اشبه فتتكسّر عظامها وتتقطع اوصالها وتتمزّق ابدانها ونحن غافلون وعن آلامها لاهون. ونتصب الشراك للطيور ونرميها بالبنادق فيكسر الخردق اجنحتها ويمزق ابدانها ونحن نتهلل بذلك كانهُ من اطيب المسرات. ونلقي الشباك للاسماك ونرفعها من الماء الى الهواء لتموت اختناقًا وان لم تمت سريعًا جلدنا بها الصخر او القيناها في النار او طرحناها في الزيت الغالي ونحن لا ننظر الاّ الى لذة الصيد وأكل السمك الطري. فهل نقول كما نقول طائفة من حامية الحيوان قولنا الانسان ما اشرسهُ. ولكنّ طوائف الحيوان كلها تجري هذا المجرى فالباشق يخطف العصفور ويمزق بدنهُ تمزيقًا قبلما تزهق روحهُ. والعصفور يلتقط في نهارهِ مئات من الذباب والديدان ويمزق ابدانها ليغتذي بها. والاسد يفترس الثور وينهش لحمهُ رويدًا رويدًا الى ان تفارقهُ الحياة. والثور يأكل العشب ولا يعنو عمّا عليهِ من الديدان والحشرات. والسمك تأكل كبارهُ

صغارهُ فلا ينجو من المليون واحد . والخليقة كلها بنات بعضها ببعض واذا كانت تتألم كما يتألم الانسان فقد خلقها الله سبحانهُ للوجع والالم تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا . وان الحكيم ليرى في حكمة الله وجودتهِ دليلاً على وجوب نفي الألم عن الحيوانات ولا سيما الدنيا منها ولكننا لا نطرق هذا الموضوع من باب ديني نظري بل من باب علمي عملي ولذلك نقول اثبتنا في الجزء الماضي في فقرة صغيرة بين الاخبار ان الزنوج لا يتألمون كما يتألم البيض وان ذلك معروف بالتواتر ومثبت بالامتحان اذ قد ثبت ان شعور اعصابهم اقل من شعور اعصاب البيض . وكل يوم نرى دليلاً جديدًا على ان الناس يتفاوتون في شعورهم بالالم فجميع الاطباء الذين سألناهم في هذا الموضوع متفقون على ان الفلاَّح اقل شعورًا بالألم تحت العمليات الجراحيَّة من التاجر وابن المدينة . وبالامس كنا نتكلَّم في هذا الموضوع واذا باحد العملة تغافل عن آلة قاطعة فقطعت خنصرهُ فاتانا بهِ يرينا اياهُ وظاهر الامر اننا تألمنا من رؤيتهِ اكثر مما تألم من قطعهِ

وقد قسم الدكتور كلياد الناس الى قسمين اصحاب البنية العصبيَّة واصحاب البنية العضليَّة فمن القسم الاول العلماء ورجال العقول والاقلام ومن القسم الثاني العملة والفلاَّحون . وليس بين هذين القسمين حاجز حصين بل هما ممتزجان لا يُعلم الفاصل بينهما ولكن الطرفين البعيدين منهما لا يشتبه احدهما بالآخر فترى في المدينة الواحدة رجلاً يحتمل اشد العمليات الجراحيَّة غير مظهر شيئًا من التألم وآخر لا يحتمل اخفها ما لم تزهق روحهُ من شدَّة الألم . وكم من مرَّة يتألم الواحد من حذاء ضيق المَّا لا يطاق فاين ذلك مما رواهُ مكاتب جريدة السبكتاتر عن اهالي زيلندا الجديدة وهو انهُ حينما أُدخلت الاحذية الضيقة الى جزيرتهم ورأوا ان اقدامهم لا تدخل فيها كانوا يقطعون اصبعًا او اصبعين من القدم لكي يسهل دخولها في الحذاء

والانسان الواحد قد تمرُّ عليهِ ساعات يتألم فيها مما لا يتألم منهُ في وقت آخر فاذا انشغل بالهُ بمسئلة معضلة او احتقن دماغهُ لمرض او لسبب آخر فقد يتألم من صوت وقع الخطى كما يتألم من وقع السهام . وقد تمرُّ عليهِ ساعات أُخرى يفارقهُ فيها الألم مع توفُّر اسبابهِ فيتخمر انخارًا كأنهُ يأكل المآكل الطيبة ويتقلَّى جسمهُ على نار الاضطهاد وهو بسيج ويرنم

فان كان البشر متفاوتين في الشعور بالألم وهم من جبلة واحدة ودم واحد وان كان الانسان الواحد يختلف شعورهُ بالألم باختلاف الاحوال فعلى مَ لا يكون البون شاسعًا بين

الانسان وبقية انواع الحيوان

وبعدُ فان مركز الألم في الدماغ والاعصابُ تنقل التأثير الذي يحدث في البدن اليهِ. فاذا انقطعت الاعصاب الموصلة بين يدي ودماغي وسكبت النار بيدي لم اشعر بشيء من الألم لان تأثير النار الذي نسميهِ المًا لا يصل الى الدماغ وكذا اذا اصابت الحبل الشوكيّ آفة فتعطّل فعلهُ لم نعد نشعر بألم يقع في الاعضاء التي اعطابها من الجزء المتعطّل وتبقى تلك الاعضاء حيّة مثل بقية اعضاء البدن. ثم ان مركز الشعور غير شامل لجميع الدماغ بل منحصر في بقعة منهُ لانهُ قد يحدث كثيرًا ان ينتزع جانب كبير من الدماغ في العمليات الجراحيّة ولا يرافق ذلك شيءٌ من الألم. وقد تتولّد في الدماغ خرّاجة كبيرة فلا يشعر بها وهي لو تولّدت في عضو آخر من اعضائهِ لاحرمتهُ لذيذ النوم بالمها الشديد وكل ذلك دليل على ان عدم وجود مركز الألم في الحيوانات الدنيا ليس بالامر المستحيل ولو كان بناء اعصابها مثل بناء اعصاب الانسان بل لا يبعد ان يكون الألم قوة ارتقت في الانسان ولم تزل ضعيفة جدًّا في بقية انواع الحيوان ولم ترتقِ ارتقاء يذكر الاّ في ماسا كنهُ منها كالكلب والفرس.

واوّلُ ما يُعترض بهِ على من ينفي تألّم الحيوان صراخ الحيوانات اذا اصابها ما نظن انهُ يؤلمها فالكلب اذا رميتهُ بحجر فقد يصرخ صراخًا تنفتت لهُ الاكباد وكذا اذا نشبتْ رجلهُ في فخ ولكنك اذا امعنت النظر رأيت ان الكلاب لا تصرخ كلها على حدٍّ سوى بل منها ما لا يصرخ ابدًا والذي يصرخ منها قد يصرخ ولو لم يصبهُ الحجر بل قد يصرخ من مجرّد رفعك الحجر بيدك. واذا نشبت رجلهُ في فخ قد لا يصرخ ما لم يرَ احدًا مقبلاً نحوهُ فاذا دنوتَ منهُ من حيث لا يراك لم يصرخ فلا بدَّ من انهُ صرخ في الحالين من الخوف لا من الألم وحدهُ. وهذا شأن الارانب والضفادع ونحوها من الحيوانات التي تصوت فانها تصرخ من الخوف اكثر ممّا تصرخ من الألم. أتبع الضفدع بثعبان فانها تصرخ صراخ الألم ولكن اقطع ساقيها فقلما تسمع منها صوتًا

والألم يمنع من قضاء بعض الاعمال فاذا رأيت رجلاً تقطع يدهُ وهو يضحك ويمزح حكمت للحال انهُ غير متألم من قطع يدهِ وهذا شأن كثير من الحيوانات فالكلب تكسر رجلهُ فيحملها ويقف امامك يبصبص بذنبهِ بعد ان تزول سَوْرة الخوف كانهُ لم يصبهُ شيءٌ والفرس تكسر يدهُ فينهض قائمًا على الثلاث ويرعى العشب كعادتهِ. والثعلب تنشب رجلهُ في الفخ فيقطعها بانيابهِ كانها حبل يربطهُ بالفخ والجرذ يجوع في المصيدة فيأكل ذنبهُ. هذا في ذوات الفقرات وهي اقرب الحيوانات الى الانسان واما الحيوانات التي لا فقارها فشعورها

بالالم ليس ثبتًا على ما يظهر . فالدودة تقطع منها لصقها فلا تموت بل ينمو جسمها ويطول كما كان اولاً وقد ينمو الجزء المقطوع ايضًا ويتولد له راس فتصير الدودة الواحدة دودتين . والزيلاء الطويلة الارجل تمسكها بارجلها فتتركها بيدك وتظل على حالها تصيد الذباب وتنسج البيوت الى ان ينبت لها ارجل أخرى كانها اغصان الشجر قطعت فافرخ غيرها مكانها . والسرطان يخاف فيرمي رجليه كانها فضلة زائدة . والجرادة تدوس بطنها وهي تأكل العشب فيبقى رأسها يأكل كانه لا يشعر بما حدث . والزنبور يُقطع من وسطه ثم يدنى رأسه من العسل فيأكل منه على جاري عادته . والفراش يتهافت على السراج فتحترق اجنحته مرة بعد أخرى وهو لا يبالي الى ان يحترق كله او يصير غير قادر على الطيران . وكيفما التفتنا نرى الادلة متوفرة على ان الحيوانات ولا سيما الدنيا منها لا تتألم مما يتألم منه الانسان . فاما ان يكون ذلك لان المراكز العصبية التي تشعر بما نسميه المًا غير موجودة فيها او غير مرتقية ارتقاءها في الانسان او يكون ذلك لسبب آخر وهو ان المؤلمات تشل اعصابها فلا تعود تشعر بالم وذلك مشاهد في الانسان ايضًا فان الحادث الشديد يخدّر اعصابه كانه الكلوروفورم . روى الدكتور لفنستون الرحالة الشهير ان الأسد بطش به مرة وعضه في كتفه عضة كادت تقضي عليه فلم يشعر بالم بل كان ينظر في عيني الاسد وهو قائم فوقه ويرى بريقها . وذكر بعضهم ان احد الضباط كان يضع النار في غليونه في حصار سباستوبول فاصابته قنبلة اطارت الغليون من يده فالتفت الى رفاقه ليفهم الى ذلك فرآهم ينظرون اليه مذهوشين فالتفت الى نفسه فرأى ان القنبلة قد اطارت احدى يديه وثلاث اصابع من اليد الاخرى ولم يشعر بذلك حتى نبّه اليه ولم يشعر بالالم الا بعد حين

وجملة القول ان ظواهر الالم قليلة جدًا في الحيوانات ولا سيما الدنيا منها . وهذا ينطبق على ما يُنتظر من جودة الخالق والا كانت الدنيا دار الالم والوجع وكانت حياة الحيوان مفعمة بالآلام المبرحة ولا حياة له بعدها يرتاح فيها فكانه انما خلق للشقاء . وهذا لا يجوز اتخاذه عذرًا لمن يتخذ تعذيب الحيوانات ديدنًا له لان عدم تألمها غير مقطوع به

في بلاد الانكليز رجل اسمه مكلود له من العمر مئة وسبع سنوات ولم يزل منتصب القامة يذهب الى الحقول بقطع البيت (مادة تستعمل للوقود) ويحمله الى بيته وطعامه الهريسة واللبن والبطاطا ولحم السمك والضان وصناعته النجارة وصناعة ابيه الحياكة